

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ
لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾
وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾
أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَعَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾
قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الصافات: 11 - 18]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلُهَا:

افتتح ﷻ هذه السُّورَةَ بِإِثْبَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى وَجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ، وَهُوَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَخَلَقَ الْمَشَارِقَ، ثُمَّ أَثْبَتَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا بَعْدَهَا الْحَشَرَ وَالنَّشَرَ، وَقِيَامَ السَّاعَةِ، بَيَانٍ أَنَّ مَنْ خَلَقَ هَذِهِ الْعَوَالِمَ الَّتِي هِيَ أَصْعَبُ فِي الْخَلْقِ مِنَ النَّاسِ؛ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَائِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِطَرِيقِ الْأُولَى^(١).

وَلَمَّا قَرَّرَ ﷻ الدَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلَى إِثْبَاتِ إِمْكَانِ الْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ؛ حَكَى عَنِ الْمُتَكِرِّينَ أَشْيَاءَ، مِنْ الْآيَةِ (١٢) إِلَى الْآيَةِ (١٧)، وَوَصَفَهُمْ بِأَوْصَافٍ تُبَيِّنُ سَبَبَ تَكْذِيبِهِمْ بِالْبَعْثِ وَالنَّشُورِ^(٢).

وَلَمَّا بَالِغَ الْمَشْرُكُونَ فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ بَعْدَ قِيَامِ الْبَرَاهِينِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا عَلَى وَقْعِهِ؛ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ يُجِيبَهُمْ بِالْوَقْعِ^(٣).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(١) ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: (فتي) أصلٌ يدلُّ على تبيينِ حُكْمٍ^(٤)، وَمِنْ ذَلِكَ: الْإِفْتَاءُ، وَهُوَ جَوَابُ السَّائِلِ عَمَّا يُشْكِلُ عَلَيْهِ، وَالْمُفْتِي: هُوَ مَنْ يُزِيلُ

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 321 / 26، والبقاعي، نظم الدرر: 199 / 16.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 324 / 26، 325.

(٣) البقاعي، نظم الدرر: 205 / 16.

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فتي).

تَقْرِيرُ الْبَعْثِ
وَالْقِيَامَةِ
بَعْدَ
تَقْرِيرِ الرُّبُوبِيَّةِ
وَالْوَحْدَانِيَّةِ

ذَكَرَ شُبُهَاتِ
الْمُنْكَرِينَ
بَعْدَ
تَقْرِيرِ الْبَعْثِ
وَالنَّشُورِ

ذَكَرَ وَقْعَ
الْبَعْثِ
بَعْدَ
الْإِخْبَارِ بِإِنْكَارِهِ

إشكال المسائل، ويوضح الأحكام، ويقال: استفتيته فأفتاني بكذا⁽¹⁾. والمراد بالاستفتاء هنا: الاستخبار عن أمرٍ حدث⁽²⁾، وطلب الإجابة عن المسؤول عنه.

(2) ﴿أَشَدُّ﴾: (شدد) أصل يدلُّ على قوَّةٍ في الشيء⁽³⁾، ومن ذلك: الشدَّة، وهي الصَّلابَةُ، والنَّجْدَةُ، وثبات القلب، والمجاعة، ويقال: رجلٌ شديدٌ، أي: شجاعٌ⁽⁴⁾، وشدَّ الله مُلْكَهُ، وشدَّدَهُ: قوَّاهُ⁽⁵⁾. ومعنى ﴿أَشَدُّ﴾ هنا: أقوى، أو أصعبُ⁽⁶⁾.

(3) ﴿لَا زِبَ﴾: (لذب) أصلٌ يدلُّ على ثبوت شيءٍ ولُزومِهِ⁽⁷⁾، ومن ذلك: اللَّازِبُ، وهو الثَّابِتُ الشَّدِيدُ الثُّبُوتِ⁽⁸⁾، ويُعبَّرُ به أيضًا عن الواجب، فيقال: ضربةٌ لازِبٌ⁽⁹⁾، والمراد بالطينِ اللَّازِبِ هنا: الطينُ اللَّاصِقُ⁽¹⁰⁾ المتماسكُ الذي فيه قوَّةُ الالتصاقِ بالأشياءِ.

(4) ﴿عَجِبْتُ﴾: (عجب) أصلٌ يدلُّ على كِبَرٍ واستكبارٍ للشيءِ⁽¹¹⁾، يقالُ مَنْ تَرَوَّفَهُ نفسه: فلانٌ مُعْجَبٌ بنفسِهِ، والعَجَبُ والتَّعَجُّبُ: حالةٌ تَعَرِّضُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ الْجَهْلِ بِسَبَبِ الشَّيْءِ⁽¹²⁾. وقوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ معناه: أنَّ حالَهُمْ حَرِيَّةٌ بِالتَّعَجُّبِ⁽¹³⁾.

(5) ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: (سخر) أصلٌ يدلُّ على احتقارٍ واستدلالٍ، ومن ذلك: تسخيرُ الله ﷻ الشَّيْءَ، وذلك إذا ذلَّه لِأَمْرِهِ وإِرَادَتِهِ⁽¹⁴⁾، والسُّخْرِيَّةُ: الاستهزاء⁽¹⁵⁾. ومعنى ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾: ويستَهزِؤْنَ⁽¹⁶⁾.

(1) الزَّاعِبُ، المفردات، والسَّمين الحلي، عمدة الحقاظ: (فتي).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 6/5، والخفاجي، غناية القاضي: 262/7.

(3) ابن فارس، معاني اللغة: (شدد).

(4) الخليل، العين: (شدد).

(5) الزَّبيدي، تاج العروس: (شدد).

(6) الخفاجي، غناية القاضي: 262/7، والراعي، تفسير الراعي: 45/23.

(7) ابن فارس، معاني اللغة: (لذب).

(8) الزَّبيدي، تاج العروس: (لذب).

(9) الجوهري، الصحاح، والزَّاعِبُ، المفردات: (لذب).

(10) التَّسْفِي، مدارك التنزيل: 119/3.

(11) ابن فارس، معاني اللغة: (عجب).

(12) الزَّاعِبُ، المفردات، والسَّمين الحلي، عمدة الحقاظ: (عجب).

(13) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 96/23.

(14) ابن فارس، معاني اللغة: (سخر).

(15) الزَّاعِبُ، المفردات: (سخر).

(16) الراعي، تفسير الراعي: 45/23.

(6) ﴿دَخِرُونَ﴾: (دخر) أصلٌ يدلُّ على الذلِّ والصَّغارِ⁽¹⁾، ودَخَرَ الرجلُ، بِالْفَتْحِ، يَدْخُرُ دُخُورًا، فَهُوَ دَاخِرٌ، ودَخِرَ دَخْرًا: ذَلَّ وصَغُرَ يَصْغُرُ صَغَارًا، وَهُوَ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ، شَاءَ أَوْ أَبِي صَاغِرًا قَمِيئًا. والدَّخَرُ: التَّخِيُّرُ⁽²⁾. والدُّخُورُ: الصَّغَارُ وَالدُّلُّ، ومنه يُقالُ: أَدَخَرْتُهُ فَدَخَرَ، أي: أَذَلَّته فَذَلَّ⁽³⁾. والمرادُ بالدَّخِرِينَ: الصَّاغِرُونَ الْأَذِلَّةُ⁽⁴⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

إقامة الحجة
على منكري
البعث

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهٗ ﷺ أَنْ يَسْأَلَ الْمُشْرِكِينَ تَبَكُّيًّا لَهُمْ، فيقولُ: فاسأَلْ يا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ: أَهَمُّ أَقْوَى أَوْ أَصْعَبُ خَلْقًا؟ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالنُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، وَالشَّيَاطِينِ وَالشُّهُبِ؟! إِنَّا خَلَقْنَا هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ طِينٍ لَاصِقٍ مَتَماسِكٍ⁽⁵⁾.

أحوال المنكرين
وشبههم في
إنكار البعث

ثُمَّ يُخْبِرُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ نَبِيَّهٗ بِبَعْضِ أَحْوَالِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ، فيقولُ: بل عَجَبْتُ يا مُحَمَّدُ مِنْ تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ، وَهُمْ مِنْ شِدَّةِ تَكْذِيبِهِمْ يَسْخَرُونَ مِمَّا تَقُولُ لَهُمْ، وَإِذَا وُعِظُوا بِمَوْعِظَةٍ لَا يَتَّعِظُونَ بِهَا، وَإِذَا رَأَوْا حُجَّةً مِنْ حُجَجِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَسْخَرُونَ مِنْهَا، وَقَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ ظَاهِرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، لَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ سِحْرًا، وَيَزِيدُونَ فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ، فيقولونَ: أَنْبَعْتُ بَعْدَ مَوْتِنَا وَصَيَّرْتَنَا تَرَابًا وَعِظَامًا؟! وَبُيِّعْتُ أَبَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ أَيْضًا؟!⁽⁶⁾.

صغار المشركين
يومَ الحشر

ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى أَنْ يُجِيبَهُمْ بِوَقُوعِهِ، فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ نَعَمْ، أَنْتُمْ

(1) الخليل، العين: (دخر)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (دخر).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (دخر).

(3) الرَّاغِب، للفردات، والسَّمين الحلي، عمدة الحفاظ: (دخر).

(4) ابن عطية، للحَرَّر الوجيز: 4/ 468، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 99.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 19، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 7، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 445.

(6) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 19، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 8.

مبعوثون بعد موتكم ومصيركم تُرابًا وعظامًا، وأنتم في هذا الحشر صاغرون أذلاء⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الفاء:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ فصيحة، تُفصح عن شرط مُقدّر، أي: إذا كان لنا من المخلوقات ما سمعت، أو إذا عرفت ما مر؛ فاستخبر⁽²⁾، أو تفرّع على قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَبُّنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّيَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ باعتبار ما يقتضيه من عظيم القدرة على الإنشاء، أي: فسألهم عن إنكارهم البعث بعد أن يصيروا عظامًا ورُفاتًا، أخلقهم حينئذٍ أشد علينا أم خلق تلك المخلوقات العظيمة؟⁽³⁾.

دلالة الأمر بالاستفتاء:

الأمر في قوله تعالى شأنه: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ للوجوب؛ لأنه الأصل، ولا صارف عنه هنا، بل مقام تبيكيت المشركين يقتضيه ويستدعيه.

والاستفتاء في الأصل: طلب الفتوى، وهي إخبار عن أمر يخفى عن غير الخواص في غرض ما، وهي: إما إخبار عن علم مختص به المخبر، وإما إخبار عن رأي يُطلب من ذي رأي موثوق به، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ فاسألهم عن رأيهم، فلما كان المسؤول عنه أمرًا محتاجًا إلى إعمال نظر؛ أُطلق على الاستفهام عنه فعل الاستفتاء⁽⁴⁾. وأيضًا الاستفتاء سؤال من يجعل قوله حجة، وكذلك هي أقوالهم؛ لأنهم لا يمكنهم أن يقولوا إلا أن خلق من سواهم من الملائكة والجنّ والسّموات والأرض والمشارق وغير ذلك هو أشد من خلق هؤلاء المخاطبين⁽⁵⁾.

خلق السماوات
والأرض أكبر من
خلق الناس

علم المشركين
حجة عليهم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19 / 24 - 25، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8 / 7.

(2) الخفاجي، عناية القاضى: 7 / 262، والالوسي، روح المعاني: 12 / 73.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 94.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 94.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 467.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ الاسْتِفْعَالِ:

طالبُ جوابٍ
للمشركين عن
السؤال المذكور

السَّيْنُ والتَّاءُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ للطلبِ، وهي تَفِيدُ طلبَ الإفتاءِ، أي: طلبَ الإجابةِ على السؤالِ المذكورِ؛ لَأَنَّهُ سؤالٌ مُهِمٌّ فيه دليلٌ على رُبوبيَّةِ اللَّهِ تعالى ووحدانيَّتِهِ.

مَرْجِعُ الصَّمَاتِ فِي ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾:

النَّبِيُّ هو المأمورُ
بسؤالِ مشركي
مَكَّةَ

ضميرُ الخطابِ في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ للنَّبِيِّ ﷺ، وأما ضميرُ الغيبةِ فهو عائدٌ إلى غيرِ مذكورٍ؛ لِلْعِلْمِ بِهِ مِنْ دِلَالَةِ الْمَقَامِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَحَالُوا إِعَادَةَ الْخَلْقِ بَعْدَ الْمَمَاتِ⁽¹⁾، وَهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ⁽²⁾، وَإِنْ لَوَحِظَ ارتباطُ الكلامِ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ يكونُ التَّفَاتُ⁽³⁾.

بِلاغَةُ الاسْتِفْهَامِ:

تقريرُ المشركين
وتوبيخُهم

الهمزةُ في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ خرجت عن موضوعها الأصليِّ - وهو الاستفهامُ - إلى تقريرٍ ما هو ثابتٌ معلومٌ⁽⁴⁾؛ لَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْمَسْئُولَ عَنْهُ مُقَرَّرٌ مُعَيَّنٌ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُسْتَفْهَمَ عَنْهُ، لَكِنْ أُجْرِيَتْ الْهَمْزَةُ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ ظَاهِرًا؛ لِيُجْعَلَ الْمُقَرَّرُ غَيْرَ مُقَرَّرٍ، فَيَصِحَّ دَخُولُ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ عَلَيْهِ، وَالْفَائِدَةُ الْإِنْكَارُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَتَوْبِيخُهُمْ⁽⁵⁾.

غَرَضُ تَقْدِيمِ ﴿أَهُمْ﴾:

المُقَرَّرُ بِهِ هُوَ مَا
يَلِي الْهَمْزَةَ

قُدِّمَ ﴿أَهُمْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾؛ لَأَنَّ تَقْدِيمَهُ هُوَ الْأَصْلُ، وَلَا مُقْتَضَى لِلْعُدُولِ عَنْهُ، وَلِأَنَّ الْمُرَادَ تَقْرِيرُ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ خَلْقَهُمْ أَهْوَنُ مِنْ خَلْقِ غَيْرِهِمْ، فَقُدِّمَ مَا هُوَ مَنَاطُ التَّقْرِيرِ؛ إِذِ الْمُقَرَّرُ بِهِ هُوَ مَا يَلِي الْهَمْزَةَ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 94.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4 / 36، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 6.

(3) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 16 / 229.

(4) الزمخشري، الكشاف: 4 / 36.

(5) الطيبي، فتوح الغيب: 13 / 125.

بلغة التعبير بـ ﴿أَشَدُّ﴾:

قوله تعالى: ﴿أَشَدُّ﴾ يحتمل أن يكون معناه: أقوى وأمتن بنية، من قولهم: شديد الخلق⁽¹⁾، فيفيد الكلام أن خلق الإنسان ضعيف إذا ما قورن بغيره من المخلوقات المذكورة.

ويحتمل أن يكون معناه: أصعب، فيفيد الرد لأنكارهم البعث، ببيان أن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة، ولم يصعب عليه اختراعها؛ كان خلق البشر عليه أهون⁽²⁾.

بلغة التمييز:

جاء بأسلوب التمييز في قوله تعالى شأنه: ﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا﴾؛ لما فيه من الإجمال والتفصيل المفيد للتشويق للتمييز، وتقرره عند وروده على النفس، ولما فيه من الاختصار الملائم لما بُنيت عليه الآيات من الإيجاز؛ إذ لم يقل: (أخلقهم أشد أم خلق من خلقنا).

نكتة تنكير ﴿خَلْقًا﴾:

الظاهر أن تنكير ﴿خَلْقًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ للنوعية، أي: أيهم أشد من جهة إحكام الصنعة وقوتها وعظمتها.

معنى ﴿أَمْ﴾:

﴿أَمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِّنْ خَلْقًا﴾ متصلة، عطفت ﴿مِّنْ﴾ على (هم)، وهي التي تسمى المعادلة، عادت في هذا الاستفهام التقريري في الأشدية بينهم وبين من خلق من غيرهم من الأمم والجن والملائكة والأفلاك والأرضين⁽³⁾.

نكتة التعبير بالموصول:

عبر بالموصول في قول الباري ﷻ: ﴿أَمْ مِّنْ خَلْقًا﴾ للاختصار؛

خَلَقَ الْإِنْسَانَ
ضَعِيفًا

كُلَّ خَلْقٍ فَهُوَ
عَلَى اللَّهِ هَيِّنٌ

الْإِنْسَانُ دُونَ
السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِنْ جِهَةٍ
الْخَلْقِ يَقِينًا

خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى
أَشَدُّ مِنْ كُلِّ
خَلْقٍ

مَقَامُ السُّؤَالِ
مَقَامُ إِيجَازٍ

(1) الرّمخشري، الكشف: 4/ 37.

(2) الرّمخشري، الكشف: 4/ 37.

(3) أبو حنّان، البحر المحيط: 9/ 93، والسّمين الحلبّي، الدّرّ للصون: 9/ 295.

لأنَّ تعريفه عهديّ أشير به - على الأظهر - إلى ما تقدّم، من الملائكة والسَّماء والأرض وما بينهما، والمشارق والكواكب والشُّهب الثَّواقِب، والشَّياطينِ المَرْدَةِ⁽¹⁾، فيكونُ فعلُ ﴿خَلَقْنَا﴾ مطلقاً محمولاً على هذا المقيّد⁽²⁾، ومقامُ السُّؤالِ مقامُ إيجازٍ؛ ليعي المسؤولُ السُّؤالَ ويجيب عنه.

نُكْتَةُ تَغْلِيظِ الْعَاقِلِ:

العُقَلَاءُ أَشْرَفُ
مِنْ غَيْرِهِمْ

قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ يشملُ الملائكةَ والسَّماءَ والأرضَ وما بينهما، والمشارقَ والكواكبَ والشُّهبَ الثَّواقِبَ، والشَّياطينَ المَرْدَةِ، وقد عبّرَ فيه بـ ﴿مَنْ﴾ التي تُستعملُ للدلالةِ على العاقلِ؛ تغليظاً للعُقَلَاءِ على غيرِهِمْ⁽³⁾؛ لأنَّهم أَشْرَفُ⁽⁴⁾.

براعةُ صيغةِ الماضي:

تَقْرِيرُ الْمُشْرِكِينَ
بِمَا يَعْلَمُونَ

جاءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿خَلَقْنَا﴾، وقوله: ﴿خَلَقْنَاهُمْ﴾؛ للدلالةِ على أنَّ هذا الخلقَ قد وقعَ وتحقّقَ، وهم يشاهدونه على الدَّوام، ويعلمون أنَّ خلقهم دونَ خلقِ السَّمَاوَاتِ والأرضِ وما ذَكَرَ سابقاً مِنْ حيثِ القُوَّةُ أو الصُّعُوبَةُ، ولذلك قَرَّروا بهذا السُّؤالِ؛ ليجيبوا بما هم مُعْتَرِفُونَ به.

بلاغَةُ الإسنادِ إلى ضميرِ العَظَمَةِ:

خَلَقَ الْعَظِيمِ
عَظِيمٌ

عبّرَ بضميرِ العَظَمَةِ في قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا﴾، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ الخلقِ بأنَّه فعلُ القديرِ العظيمِ ﷻ⁽⁵⁾، وفي ذلك تقويةٌ لمقامِ الاستدلالِ على البعثِ والقيامةِ، وتعظيمٌ للمِنَّةِ عليهم بنعمةِ خلقهم وإيجادهم، وخلقٍ ما حولهم ممَّا ينتفعون به.

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَاف: 37/4، والآلُوسِيّ، روحِ المعاني: 73/12.

(2) الطَّبِّيّ، فتوح الغيب: 126/13.

(3) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَاف: 37/4، والبيضاويّ، أنوار التنزيل: 6/5.

(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 229/16.

(5) البقاعيّ، نظم الدرر: 200/16.

نكتة حذف متعلق الخلق:

اقتصر في قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا﴾ على الفاعل، ولم يذكر متعلق الخلق؛ اكتفاءً ببيان ما تقدمه، وكأنه قيل: أم من خلقنا من غرائب المصنوعات وعجائبها⁽¹⁾، ولإعلام بأنه لا شيء من الموجودات إلا وهو خلقه ﷻ⁽²⁾.

كل الموجودات
مخلوقة لله
تعالى

سر حذف جواب المشركين:

لم يذكر في الآية أن المشركين أقرؤا أن خلق هذه الأشياء أشد، أو أصعب من خلقهم؛ لأن ظهور ذلك كالمعلوم بالضرورة، فلا حاجة للتخصيص عليه⁽³⁾، وهذا من الإجازات البديعة في القرآن الكريم.

الحق أبلغ

نكتة فصل ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾:

فصل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ عما قبله؛ لأنه استئناف في موضع التعليل لما يتولد من معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِّنْ خَلْقًا﴾، بأنهم أضعف خلقًا من خلق السموات وعوالمها؛ احتجاجاً عليهم بأن تأتي خلقهم بعد الفناء أهون من تأتي المخلوقات العظيمة المذكورة؛ فإنهم خلقوا من طين، فكيف يحيلون البعث؟⁽⁴⁾

من خلق من
طين هان بعثه

غرض التأكيد ب (إِنَّ):

أكد قوله جل ذكره: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ ب (إِنَّ)، واسمى الجملة؛ للدلالة على أن خلقهم من طين أمر مقرر معلوم، لا شك فيه ولا ارتياب، فينبغي عليهم أن يبنوا عليه أن بعثهم أمر يسير، وللتبني على أن إنكارهم البعث لاستبعادهم تمييز التراب

من أنكر البعث
فكأنما أنكر
الخلق

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 93 / 9.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 199.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26 / 322.

(4) الطيبي، فتوح الغيب: 13 / 126، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 95.

مِنَ التُّرَابِ؛ يَلْزَمُ مِنْهُ إنْكَارُ ابتداءِ الخَلْقِ⁽¹⁾، ولذلك خوطبوا خطابَ المنْكَرِ للخلقِ، وإنْ لم يكونوا كذلك.

نكتة إيقاع الخَلْقِ مِنْ طِينٍ على جميعِ النَّاسِ:

أَبُو الْبَشَرِ
مَخْلُوقٌ مِنْ طِينٍ

أُضِيفَ الخَلْقُ مِنْ طِينٍ إلى جميعِ النَّاسِ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْأَبَّ - وهو آدمُ ﷺ - مخلوقٌ مِنْهُ⁽²⁾، فيكونُ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُمْ﴾ إمَّا مجازُ في الإسنادِ والإيقاعِ، أو مجازُ في الحذفِ، أي: خَلَقْنَا أَبَاهُمْ⁽³⁾، فإذا كَانَ أصلُهُم قد خُلِقَ مِنْ ترابٍ فكيف يُنْكَرُونَ إمكانَ إعادةِ كُلِّ آدميٍّ مِنْ ترابٍ؟⁽⁴⁾.

نكتة تنكيرِ ﴿طِينٍ﴾:

أَصْلُ نَشْأَةِ
الْإِنْسَانِ مَهِينٌ

تنكيرُ ﴿طِينٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ للنُّوعِيَّةِ، أي: مِنْ نَوْعٍ مِنْ أنواعِ الطِّينِ، بدليلِ وصفِهِ بكونِهِ لازِبًا، أو للتَّحْقِيرِ، أي: مِنْ طِينٍ مَهِينٍ⁽⁵⁾، وفي ذلك ملاءمةٌ لمقامِ الاستدلالِ على البعثِ؛ إذ مَنْ قَدَّرَ على خَلْقِهِمْ مِنْ هَذِهِ المادَّةِ الضَّعِيفَةِ، فهو قَادِرٌ على بَعْثِهِمْ بعدَ الفَنَاءِ، وفيهِ أيضًا إشارةٌ إلى كَسْرِ جِماحِ الكِبَرِ في نفوسِهِمْ، بتذكيرِهِمْ بأنَّهُمْ مخلوقونَ ممَّا هو غايةٌ في السُّفُولِ⁽⁶⁾، ويوطأُ بالأقدامِ.

نكتة الوصفِ بـ ﴿لَّازِبٍ﴾:

شِدَّةُ ضَعْفِ
أَصْلِ الْإِنْسَانِ

وُصِفَ الطِّينُ في قولِهِ تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ بكونِهِ لازِبًا؛ لمزيدِ إقامةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بضعْفِ أصلِ نشأتِهِمْ؛ إذِ المعنى: خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ شَدِيدٍ اختلاطُ بَعْضِهِ ببَعْضٍ، بحيثُ التصقَ وَضُمَ⁽⁷⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 200/16.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/467.

(3) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 231/16.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 95/23.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 200/16.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 200/16.

(7) البقاعي، نظم الدرر: 200/16.

بلاغة اسمِ الفاعل:

عُبِّرَ باسمِ الفاعلِ في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿مِنْ طِينٍ لَا زِبِّ﴾؛ للدلالةِ على أَنَّ لُزُوبَ الطِّينِ الَّذِي خُلِقُوا مِنْهُ أَمْرٌ ثَابِتٌ، وَأَنَّ الطِّينَ رَاسِخٌ في اتِّصافِهِ بِهِذِهِ الصِّفَةِ؛ وَذَلِكَ يَلَاءُكُمْ مَقَامَ تَهْوِينِ شَأْنِ الْبَعْثِ.

دلالة ﴿بَل﴾:

﴿بَل﴾ في قولِهِ ﷺ: ﴿بَلْ عَجَبْتَ﴾ إضرابٌ عن الأمرِ بالاستفتاءِ، أي: لَا تَسْتَفْتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ مُعَانِدُونَ مُكَابِرُونَ، لَا يَنْفَعُ فِيهِمُ الاسْتِفْتَاءُ، وَلَا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى بَعَثِكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ صُمُّكُمْ عُمِّيٌّ، وَإِنَّمَا يَتَعَجَّبُ مِثْلُكَ مِمَّنْ لَهُ إِنصَافٌ وَنَظَرٌ صَحِيحٌ⁽¹⁾، أَوْ هِيَ إِضْرَابٌ عَنْ مُقَدَّرٍ دَلَّ عَلَيْهِ ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾، أي: (هَمْ لَا يَقَرُّونَ بَل... إلخ)⁽²⁾، أَوْ هِيَ إِضْرَابٌ انْتِقَالِيٌّ مِنَ التَّقْرِيرِ التَّوْبِيخِيِّ إِلَى بَيَانِ أَنَّ حَالَهُمْ عَجِيبٌ⁽³⁾.

توجيه القراءات في ﴿عَجِبْتَ﴾ وبلاغتها:

قرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿عَجِبْتَ﴾ بضمِّ التَّاءِ، وقرأ الباقون بفتحها⁽⁴⁾. أمَّا قراءة الضمِّ فهي بمعنى: بَلْ عَظُمَ عِنْدِي اتِّخَاذُهُمْ لِي شَرِيكًا، وَتَكْذِيبُهُمْ بِآيَاتِي⁽⁵⁾، أَوْ بِمَعْنَى: بَلْغَ مِنْ عِظَمِ آيَاتِي وَكَثْرَةِ خِلَافِي أَنِّي عَجِبْتُ مِنْهَا، فَكَيْفَ بَعْبَادِي؟ وَهَؤُلَاءِ بِجَهْلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ يَسْخَرُونَ مِنْ آيَاتِي، أَوْ عَجِبْتُ مِنْ أَنَّ يُنْكِرُوا الْبَعْثَ مِمَّنْ هَذِهِ أَفْعَالُهُ، وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِمَّنْ يَصِفُ اللَّهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ⁽⁶⁾. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِعَجَبِ اللَّهِ حَقِيقَةَ الْعَجَبِ الْمُسْتَلْزِمَةِ الْمَفْاجَأَةِ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُتَرَقِّبٍ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ،

رسوخ الطين
في الاتصاف
باللزوبية

المشركون لا
ينفع فيهم
التقريب

حال المشركين
مع الحق
محل استنكار
واستعظام

(1) الطَّبِيُّ، فتوح الغيب: 129/13، وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 231/16.

(2) الخفاجي، عناية القاصي: 263/7.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 95/23.

(4) ابن الجزري، النشر: 356/2.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 22/21.

(6) الرَّمْخُسِيُّ، الكشاف: 37/4.

بل المراد التّعجب، أو الكناية عن لازمه، وهو استعظام الأمر المتعجب منه⁽¹⁾.

وأما قراءة الفتح فهي بمعنى: بل عَجِبْتَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ اتِّخَاذِهِمْ لِي شَرِيكًا، وتكذيبهم بآياتي⁽²⁾، أو بمعنى: بل عَجِبْتَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْخَلَائِقِ الْعَظِيمَةِ، وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْكَ وَمِنْ تَعْجُوبِكَ، وَمِمَّا تُرِيهِمْ مِنْ آثَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ، وَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْ أَمْرِ الْبَعْثِ⁽³⁾.

حَالُ الْمُشْرِكِينَ
غَايَةُ فِي الْعَجَبِ

الخطابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَجِبْتَ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ الْفَتْحِ؛ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَوْ لِكُلِّ مَنْ يَقْبَلُهُ⁽⁴⁾، فَيُفِيدُ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ أَنَّ حَالَ الْمُشْرِكِينَ الْعَجِيبَ قَدْ اشْتَهَرَ، حَتَّى صَحَّ أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ كُلُّ مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ فَهْمُ الْخَطَابِ.

بَلَاغَةُ صِيغَةِ الْمَاضِي:

حَالُ الْمُشْرِكِينَ
خَرِئَةٌ بِالتَّعْجُبِ

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ الْمَاضِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَجِبْتَ﴾ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَى الْأَمْرِ، وَهُوَ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْخَبَرِ فِي مَعْنَى الطَّلَبِ لِلْمُبَالَغَةِ، وَالْمَعْنَى: اعْجَبْ لَهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَجَبُ قَدْ حَصَلَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا رَأَى إِعْرَاضَهُمْ وَقِلَّةَ إِنْصَافِهِمْ، فَيَكُونُ الْخَبَرُ مُسْتَعْمَلًا فِي حَقِيقَتِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى تَقْدِيرِ هَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ، أَي: بَلْ أَعْجَبْتَ. وَالْمَعْنَى عَلَى الْجَمِيعِ: أَنَّ حَالَهُمْ جَدِيرَةٌ بِالتَّعْجُبِ⁽⁵⁾.

دَلَالَةُ الْوَاوِ فِي ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾:

الاستهزاء
بالحق شيمة
أهل الجهل
والعناد

الواو فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ لِلْحَالِ، أَي: عَجِبْتَ مِنْهُمْ فِي حَالِ سُخْرِيَّتِهِمْ⁽⁶⁾، وَأَيًّا مَا كَانَ فَالْكَلَامُ ظَاهِرٌ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 96.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 21 / 22.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4 / 37.

(4) الخفاجي، عناية القاضي: 7 / 263.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 95.

(6) السمين الحلي، الدرر للصون: 9 / 296، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 97.

موقفهم من الحق هو الاستهزاء والسخرية؛ فالاستهزاء بالحق شيمة أهل الجهل والعناد.

نكتة التعبير بصيغة المضارع:

عبر بصيغة المضارع في قول الباري ﷻ: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾؛ لإفادة تجدد السخرية من المشركين كلما جاءتهم حجة، وأنهم لا يرعون عن ذلك⁽¹⁾؛ لأن نفوسهم قد ضريت بمعادة الحق، وقلوبهم قد ختم عليها الكبر والعناد، فلا يصل إليها نور الحق، إلا من شاء الله تعالى له الهداية بعد ذلك، وتداركه بلطفه ورحمته.

المشركون أشربوا
حب الاستهزاء
بالحق

دلالة الواو:

الواو في قوله جل ذكره: ﴿وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ عاطفة لهذه الجملة على ما قبلها، ونكتة العطف: بيان أن شأنهم مع الحق هو الاستهزاء والسخرية، وأنهم لا يتعظون بما يذكرون به، فهو حكاية لقبوحة أخرى من قبائحهم.

عدم التذكر من
قبائح المشركين

بلغة التعبير بالشرط:

جاء بأسلوب الشرط في قول الباري ﷻ: ﴿وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾؛ للدلالة على أن عدم تذكرهم مترتب على تذكيرهم دائماً، لا يتخلف عنه، فكلما ذكروا أعرضوا، ولم يذكروا، ولا يتوقع منهم غير ذلك؛ وهذا لفرط كبرهم وعنادهم، إلا من شاء الله هدايته بعد ذلك.

فرط كبر
المشركين
وعنادهم علّة
إعراضهم

نكتة التعبير بـ (إذا) دون (إن):

عبر بـ (إذا) دون (إن) في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾، مع أن كلا منهما للشرط في الاستقبال؛ لأن (إذا) تستعمل في مقام القطع بوقوع الشرط، فتفيد هنا أن ترتب عدم تذكرهم على

إعراض
المشركين عادة
لهم استحقوا
بسببها الدّم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 97/23، والبقاعي، نظم الدرر: 203/16.

تذكيرهم أمرٌ مقطوعٌ به؛ لأنَّ عدمَ الاتِّعاضِ دَيَّدَنَهُمْ وشَأْنُهُمْ⁽¹⁾،
ولذلك استحقَّقوا الذَّمَّ⁽²⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالتَّذْكِيرِ:

عَبَّرَ بِالتَّذْكِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُكِّرُوا﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى حَرَصِ
النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حَمْلِ الْمَشْرِكِينَ عَلَى النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ الْحَقِّ؛ لِيَتَّعْظُوا
بِهَا، وَيَنْتَفِعُوا بِهَا، وَيَجْعَلُوا الْحَقَّ نُصَبَ أَعْيُنِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يَغِيبُ
عَنْهَا، وَيَذْكُرُوا مَا يَغْفُلُونَ عَنْهُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَمِنْ
تَنْظِيرِ حَالِهِمْ بِحَالِ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ⁽³⁾.

بَلَاغَةُ صِيغَةِ الْمَاضِي:

جِيءَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي فِي قَوْلِ الْبَارِي جَلَّ شَأْؤُهُ: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾؛
لأنَّ (إِذَا) تُسْتَعْمَلُ فِي مَقَامِ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ، فَيُنَاسِبُهَا إِيرَادُ
صِيغَةِ الْمَاضِي الدَّالَّةِ عَلَى الْوُقُوعِ نَظَرًا إِلَى اللَّفْظِ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى
عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ، وَفِي ذَلِكَ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ ﷺ يُؤَدِّي حَقَّ الْبَلَاغِ
وَالتَّذْكِيرِ، وَلَا يَصْرِفُهُ عَنْ ذَلِكَ صَارْفٌ.

سِرُّ الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ فِي الْفِعْلِ ﴿ذُكِّرُوا﴾:

بُنِيَ ﴿ذُكِّرُوا﴾ لِلْمَفْعُولِ؛ لِلْعِلْمِ بِالْفَاعِلِ، وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ؛ إِذْ هُوَ
الْمُتَوَلَّى أَمْرَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، أَوْ لِإِرَادَةِ التَّعْمِيمِ، وَعَدَمِ تَعَلُّقِ
الْغَرَضِ بِذِكْرِ الْفَاعِلِ، وَفِي ذَلِكَ مِبَالِغَةٌ فِي بَيَانِ إِصْرَارِهِمْ عَلَى
الْكُفْرِ وَالْإِعْرَاضِ، بِحَيْثُ لَا يَتَّعْظُونَ بِالْوَعْظِ مِنْ أَيِّ وَاعِظٍ كَانَ⁽⁴⁾.

نُكْتَةُ إِطْلَاقِ التَّذْكِيرِ:

أُطْلِقَ التَّذْكِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُكِّرُوا﴾، وَلَمْ يُذَكَّرْ لَهُ مُتَعَلِّقٌ مُعَيَّنٌ؛
إِمَّا لِإِرَادَةِ الْعُمُومِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا وُعِظُوا بِشَيْءٍ لَا يَتَّعْظُونَ بِهِ أَيًّا كَانَ،

العاقل يجعل
الحقَّ نُصَبَ
عينيهِ

النَّبِيُّ يُؤَدِّي حَقَّ
البلاغِ

للمشركون لا
ينفعهم وعظ
الواعظين

إِعْرَاضَ الْمَشْرِكِينَ
عَنْ كُلِّ عِظَةٍ

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 38/4، وَأَبُو السَّعْدِودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 186/7.

(2) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْمَعَانِي: 75/12.

(3) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 97/23.

(4) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الذَّرَرِ: 203/16.

ويدخل في هذا دخولاً أولياً وعظُهم بما يدلُّ على ثبوتِ الحشرِ، وفي هذا ذمٌّ شديدٌ لهم بقسوةِ القلبِ، وأنَّ الوعظَ لا يعرفُ إلى قلوبِهِم طريقاً، أو للعلمِ بالمذكَّرِ بهِ مِنَ السَّيَاقِ، أي: أنَّهم إذا ذكَّرَ لهم ما يدلُّ على صحَّةِ الحشرِ؛ لا ينتفعون بهِ؛ لبلا دتِهِم وقِلَّةِ فكرِهِم⁽¹⁾.

بلادة المضارع المنفي:

جاء بصيغة المضارع المنفي في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾؛ للتَّنبِيهِ على أنَّ عدمَ ذِكْرِ المشركين أمرٌ مُستمرُّ مُتجدِّدٌ؛ لأنَّهُ دَيْدُهُم وعادَتُهُم⁽²⁾، وبمنزلةِ صفةٍ من صفاتِهِم الجِلِّيَّةِ، وذلك أنَّ المضارع يدلُّ على الاستمرارِ، فإذا دخلَ عليه النَّفيُ أفادَ استمرارَ الانتفاءِ.

براعة الكناية:

نفيُّ الذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ كنايةٌ عن عدمِ نفعِ التَّذْكِيرِ في حقِّ المشركين؛ إذ التَّذْكِيرُ لا ينفكُ عَنْهُ الذِّكْرُ، كما لا ينفكُ الانكسارُ عن الكَسْرِ⁽³⁾، وعدمُ الانتفاعِ بسببِ قَرْطِ تعصُّبِهِم وعنادِهِم، فأُطلقَ عدمُ الذِّكْرِ على أثرِ الفعلِ، أي: لا يحصلُ فيهِم أثرُ تذكُّرٍ ما يُذكِّرون بهِ، وإنَّ كانوا قد ذكَّروا ذلك⁽⁴⁾.

سرُّ التعبير بالذِّكْرِ دونَ التَّذْكِيرِ:

قيل: ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾، ولم يُقَلَّ: (لا يتذكَّرون)، مع أنَّه أنسبُ بـ ﴿ذُكِّرُوا﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الأَخْفَ لا يحصلُ مِنْهُمْ، فالأشدُّ مِنْ بابِ أولى.

بلادة عطف ﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ معطوفٌ على ما

الوعظ لا يعرفُ
إلى قلوبِ
المشركين سبيلاً

التذكير وعدمُهُ
سواءٌ عندَ
المشركين

المشركون
بعيدون عن
التذكير مراحل

إعراض المشركين
عن كلِّ دلائلِ
الحقِّ

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 235/16، والالوسي، روح المعاني: 75/12.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 7/5.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 235/16.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 97/23.

قبله⁽¹⁾، ونُكِّتُهُ هذا العطف: أَنَّهُ لَمَّا ذُكِرَ إِعْرَاضُ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْمَسْمُوعِ؛ أُتْبِعَهُ إِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْمُرْتَبِيِّ⁽²⁾، فَأَفَادَ الْكَلَامُ إِعْرَاضَهُمْ عَنِ جَمِيعِ دَلَائِلِ الْحَقِّ.

بلاغة التعبير بالشرط:

العنادُ رَانَ على
قلوبِ المشركين

جِيءَ بِأَسْلُوبِ الشَّرْطِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ تَرْتُّبَ سُخْرِيَتِهِمْ عَلَى رُؤْيَا دَلَائِلِ الْحَقِّ أَمْرٌ دَائِمٌ، فَكُلَّمَا أَبْصَرُوا شَيْئًا مِنْهَا تَعَامَوْا عَنْهُ، بِحَيْثُ لَا يُرْجَى مِنْهُمْ الْإِعْتِبَارُ وَالِاسْتِبْصَارُ؛ لِأَنَّ الْعِنَادَ قَدْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَطُمَسَ عَلَى بَصَائِرِهِمْ، وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ الْهِدَايَةُ بَعْدَ ذَلِكَ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِ (إِذَا) دُونَ (إِنْ):

التَّعَامِي عَنْ
دَلَائِلِ الْحَقِّ
شَأْنُ الْمُشْرِكِينَ

عُبِّرَ بِ (إِذَا) دُونَ (إِنْ) فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ مَعَ أَنَّ كِلَا مِنْهُمَا لِلشَّرْطِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ؛ لِأَنَّ (إِذَا) تُسْتَعْمَلُ فِي مَقَامِ الْقَطْعِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ، فَتَقْدِيرُهُ هُنَا أَنَّ تَرْتُّبَ سُخْرِيَتِهِمْ عَلَى رُؤْيَا آيَاتِ أَمْرٌ مُقْطُوعٌ بِهِ؛ لِأَنَّ عَدَمَ الْإِسْتِبْصَارِ وَالِإِعْتِبَارِ عَادَتُهُمْ وَشَأْنُهُمْ، وَلِذَلِكَ اسْتَحَقُّوا الذَّمَّ وَالتَّوْبِيخَ.

غَرَضُ التَّعْبِيرِ بِالْمَاضِي:

رُؤْيَا الْمُشْرِكِينَ
دَلَائِلَ الْحَقِّ
ثَابِتَةً

جِيءَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي فِي قَوْلِ الْحَقِّ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾؛ لِأَنَّ (إِذَا) تُسْتَعْمَلُ فِي مَقَامِ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ، فَيُنَاسِبُهَا إِيرَادُ صِيغَةِ الْمَاضِي الدَّالَّةِ عَلَى الْوُقُوعِ نَظَرًا إِلَى اللَّفْظِ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ، وَفِي ذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ رُؤْيَاهُمْ لِدَلَائِلِ الْحَقِّ ثَابِتَةٌ؛ إِذْ لَا حَائِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا، وَهِيَ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ.

(1) درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 255 / 8.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 203 / 16.

سر التعبير بلفظ «آية»:

عُبرَ عن خوارق العادات التي جاء بها نبيُّنا ﷺ بالآيات في قول الحقِّ تقدَّسَ ذكره: «وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ»؛ لما يُشيرُ إليه لفظُ الآية بحسبِ معناه اللُّغويِّ مِنْ كونها علامةً دالةً على صدِّقه ﷺ فيما جاءهم به مِنْ عندِ ربِّه⁽¹⁾، وَمِنْ جملةِ ذلك: إثباتُ الحشرِ والقيامةِ كما هو مُقتضى السِّياق.

تأييدُ النبيِّ
بالعلاماتِ
الدَّالةِ على
صدِّقه

نكتة تنكير «آية»:

تنكيرُ «آية» في قولِ الحقِّ تقدَّسَ ذكره: «وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ» للعموم؛ لأنَّ النُّكرةَ في سياقِ الشرطِ تعمُّ، أي: وإذا رأوا أيَّ علامةٍ مِنَ العلاماتِ الدَّالةِ على صدقِ النبيِّ ﷺ يستسخرون.

تكذيبُ المشركين
بجميعِ الآياتِ

فائدة صيغة الاستفعال:

جاء بصيغة الاستفعال في قوله ﷺ: «يَسْتَسْخِرُونَ»؛ للدلالة على مبالغة المشركين في السُّخْرية؛ لأنَّ هذه الصِّفةَ تدلُّ على الطَّلَبِ والتَّكَلُّفِ، ولا طلبَ هنا، فيُرادُ لازمه، وهو المبالغة في السُّخْرية والاستهزاء؛ لأنَّ ما فُعلَ بالطلبِ يقعُ على وجهِ المبالغة، أو للتنبية على اجتماعهم على السُّخْرية، وأنَّهم كانوا يطلبُ بعضهم مِنْ بعضٍ أَنْ يسخرَ منها⁽²⁾، وفي ذلك مزيدٌ تقبيحٍ لحالهم؛ إذ يتعاونون على الإثمِ والعدوانِ، وعلى ما فيه هلاكهم، وعلى هذا الاحتمالِ تكونُ الصِّفةُ للطلبِ على حقيقتها⁽³⁾.

إفراطُ المشركين
في التَّكْذِيبِ
والسُّخْرية

دلالة صيغة المضارع:

عُبرَ بصيغة المضارع في قولِ الحقِّ جلَّ شأنه: «يَسْتَسْخِرُونَ»؛ للدلالة على أنَّ سُخْرية المشركين مُستمرَّةٌ مُتجدِّدةٌ، فكلُّما أبصروا

ضراوةُ المشركين
في التَّكْذِيبِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 468، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 186.

(2) الرَّمْخُسِيُّ، الكشاف: 4/ 38، والقنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 235.

(3) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 264.

علامةً مِنْ علاماتِ الحقِّ جدّدوا لها استهزاءً وسُخريةً وتكذيباً⁽¹⁾، وفي ذلك مِنْ بيانِ ضراوتِهِمْ في الكفرِ والتَّكذيبِ والعنادِ ما لا يخفى. **بلاغةً عطفٍ ﴿وَقَالُوا﴾:**

الكفر بالله أصل
كلّ القبائح

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ معطوفٌ على ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾⁽²⁾، فيفيدُ العطفُ أنَّهم جمعوا بين السُّخريةِ ونعتِ الآيةِ بأنّها سِحْرٌ عندَ رؤيتها، أو معطوفٌ على ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾، فيفيدُ وصفهم للبعثِ بأنّه سِحْرٌ⁽³⁾، وأيّاً ما كان فهو حكايةٌ لقبیحةٍ أخرى مِنْ قبائحِهِم المتفرّعةِ عن كفرِهِم بالله، وتكذيبِهِم بالحقِّ.

سرُّ التعبيرِ بالماضي:

قُبْحُ إنكارِ الآياتِ
والبعثِ

جاءَ بفعلِ القولِ على صيغةِ الماضي في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾؛ للدلالةِ على تحقُّقِ القولِ المذكورِ في حقِّ الآياتِ، أو البعثِ ووقوعِهِ⁽⁴⁾، وفيه تنبيهٌ على قُبْحِ هذا القولِ وشناعتهِ وإنْ صدرَ مرّةً واحدةً؛ لأنَّ الآياتِ ودلائلَ صحّةِ البعثِ مِنَ الظُّهورِ والوضوحِ بمكانٍ هو في غايةِ البُعدِ عن الشُّكوكِ⁽⁵⁾.

بلاغةُ القصْرِ:

الحقُّ باطلٌ
مَخْضٌ عندَ
المشركينَ

القصْرُ بالنفي والاستثناءِ في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قصْرٌ موصوفٍ على صفةٍ، فقد قَصَرُوا المشارَ إليه - وهو الآيةُ أو البعثُ - على الاتِّصافِ بكونِهِ سِحْرًا مُبِينًا، لا يتجاوزُهُ إلى صفةٍ أخرى، وهذا القصْرُ يُشيرُ إلى ما في نفوسِهِمْ مِنَ الكِبَرِ والعنادِ والتَّمسُّكِ بالباطلِ، وأنَّ احتمالَ حقيّةِ الآيةِ أو البعثِ لا يخطرُ لَهُمْ ببالٍ، ولو طَيَّفَ خيالٍ.

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 235 / 16.

(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 235 / 16.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 98 / 23.

(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 235 / 16.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 203 / 16.

علة تذكير المُشار إليه:

إِنْ كَانَ الْمُشَارُّ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هو البعث؛ فتذكيرُ اسمِ الإشارةِ ظاهرٌ⁽¹⁾، وَإِنْ كَانَ الْآيَةُ وَالْمَعْجَزَةُ فَالتَّذْكِيرُ بِتَأْوِيلِ: مَا يَرُونَهُ⁽²⁾، وَأَيًّا مَا كَانَ فَالتَّعْبِيرُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي تَعْيِينِ الْمُكَذَّبِ بِهِ، بِتَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْمَحْسُوسِ الْحَاضِرِ.

الحقُّ مائلٌ
بصورة الكذبِ
عندَ المشركينَ

نكتة الإشارة للقريب:

جِيءَ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْقَرِيبِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى احْتِقَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُشَارِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْآيَةُ أَوِ الْبَعْثُ؛ إِذْ تَكْذِيبُ الْحَقِّ وَالسُّخْرِيَّةُ مِنْهُ يُعْبِرَانِ عَمَّا فِي نَفُوسِ الْمُكْذِبِينَ مِنَ الْاِحْتِقَارِ لَهُ وَلِاتِّبَاعِهِ، وَهَذَا هُوَ شَأْنُ أَعْدَاءِ الْحَقِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، يَلْجَأُونَ إِلَى ذَلِكَ عِنْدَ إِفْلَاسِهِمْ وَيَأْسِهِمْ مِنْ دَفْعِ الْحَقِّ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ.

احتقارُ المشركينَ
للحقِّ وأهله

بلادة التعبير بالسحر:

عَبَّرَ بِالسَّحْرِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾؛ لِبَيَانِ شِدَّةِ تَلْبِيسِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَتَشْوِيهِهِمْ لِلْحَقَائِقِ الْقَطْعِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ، بِإِبْرَازِهَا فِي صُورَةِ أُمُورٍ وَهَمِيَّةٍ مُسْتَقْبَحَةٍ، تَقْتَرِنُ عَادَةً بِالشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَغَرَضُهُمْ مِنْ هَذَا الصَّنِيعِ صُدُّ النَّاسِ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَالِاتِّحَاقِ بِرُكْبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا، وَإِظْهَارِ الْمُؤْمِنِينَ فِي صُورَةٍ مَنْ يَخْدَعُ بِالسَّحْرِ وَالتَّمْوِيهِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ هَذَا إِلَّا خَيَالٌ وَأُمُورٌ مُمَوَّهَةٌ، لَا حَقَائِقَ لَهَا⁽³⁾.

تشويهُ أهلِ
الباطلِ صورة
الحقِّ وأهله

نكتة تنكير ﴿سحر﴾:

تَنْكِيرُ ﴿سَحْرٌ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ لِلْإِفْرَادِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ هَذَا إِلَّا فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ السَّحْرِ، أَوْ لِلنُّوعِيَّةِ، أَيُّ: إِنَّ هَذَا إِلَّا

إدراجُ المشركينَ
للحقِّ في جملةِ
السَّحْرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 98 / 23.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 7 / 5.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 204 / 16.

نوعٌ مِنْ أنواعِ السَّحَرِ، وأَيُّ ما كَانَ فالْمُشْرِكُونَ يَرَوْنَ المُشَارَ إِلَيْهِ - وهو الآيَةُ أو البعثُ - مُنْدرِجًا في جُمْلَةِ السَّحَرِ، بَحِيثٌ لَا يَمْتَأَزُ عَنْهُ بِشَيْءٍ يَجْعَلُهُ خَارِجًا عَنْ جَنْسِهِ وَحَقِيقَتِهِ.

نُكْتَةُ الوَصْفِ بـ ﴿مُيِّنٌ﴾:

اختلاط ميزان
الحقِّ والباطلِ
عندَ المُشْرِكِينَ

وُصِفَ السَّحَرُ بِكَوْنِهِ مُبِينًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُيِّنٌ﴾؛ لِتَلْبِيهِ عَلَى شِدَّةِ وَثُوقِ الْمُشْرِكِينَ بِكَوْنِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الآيَاتِ أَوْ الإِخْبَارِ بِالْبَعْثِ سِحْرًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ كَوْنَهُ سِحْرًا أَمْرٌ يَبِينُ لَا شُبْهَةَ فِيهِ لِأَحَدٍ، وَلَا امْتِرَاءً⁽¹⁾، وَالْكَافِرُ إِذَا خُتِمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجُعِلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةٌ؛ يَرَى الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ، وَيَرَى الْحَقَّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَعْجِزَةِ وَالسَّحَرِ.

بَلَاغَةُ فَصْلِ ﴿أَعْدَا﴾:

قصورُ نظرِ
المُشْرِكِينَ
وغيرُفْهَمِ فِي
غَفْلَتِهِمْ

فُصِّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَعْدَا مِثْنًا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظْلًا﴾ عَمَّا قَبْلَهُ، وَلَمْ يُعْطَفْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ تَرْكَ الْعُطْفِ بِالْوَاوِ أَنْسَبُ بِتَصْدِيرِ الْجُمْلَةِ بِالِاسْتِفْهَامِ، وَلِأَنَّهُ مَسْووقٌ لِبَيَانِ سَبَبِ اسْتِبْعَادِهِمْ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ بَعْدَ بَيَانِ اسْتَهْزَائِهِمْ بِالْآيَاتِ وَإِنْكَارِهِمْ لِلْبَعْثِ، وَهُوَ سَبَبٌ نَاشِئٌ عَنْ غَفْلَةٍ وَقُصُورِ نَظَرٍ.

بَلَاغَةُ الاسْتِفْهَامِ:

لِلْمُشْرِكُونَ
مُكَابِرُونَ
مُعَانِدُونَ

الاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَعْدَا مِثْنًا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظْلًا أَعْنًا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لِلْإِنْكَارِ وَالسُّخْرِيَّةِ⁽²⁾، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْإِسْتِبْعَادِ، وَلَيْسَ هُوَ سُؤَالَ بَاحِثٍ عَنِ الْحَقِّ، طَالِبٍ لَهُ؛ لِأَنَّ عَادَةَ الْمُشْرِكِينَ هِيَ الْعِنَادُ وَالْمُكَابَرَةُ.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ (إِذَا):

شِدَّةُ إِنْكَارِ
المُشْرِكِينَ لِلْبَعْثِ

الْعَامِلُ فِي (إِذَا) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَعْدَا مِثْنًا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظْلًا أَعْنًا لَمَبْعُوثُونَ﴾ مُقَدَّرٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: (أُنْبِئْتُ إِذَا مِثْنًا...

(1) الفخر الزاوي، مفاتيح الغيب: 325/26، والشوكاني، فتح القدير: 446/4.

(2) التَّنْزِيلُ: 119/3، والقُرْطُبِيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 71/15.

إلخ)، وليس العامل ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ نفسه؛ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) واللام لا يعملُ فيما قبله، وتقديمُ (إذا) في الكلام بحسبِ الظاهر؛ لتقوية الإنكارِ للبعثِ بتوجيهه إلى حالة تُنافيه غايةً المنافة⁽¹⁾، وللإشعارِ بأنَّ البعثَ في هذه الحالة - وهي حالة كونهم أمواتاً وتراباً - أشدُّ إنكاراً. وهذا إذا كانتَ (إذا) ظرفاً غيرَ مُتضمِّنٍ لمعنى الشرط، فإنَّ جُعِلَتْ شرطيةً كانَ جوابُها عاملاً فيها، أي: أَعِذَا مِنَّا بُعِثْنَا؟⁽²⁾.

غرضُ التعبيرِ بـ (إذا) دونَ (إنَّ):

إذا جُعِلَتْ (إذا) شرطيةً فالتعبيرُ بها دونَ (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿أَعِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا﴾؛ لأنَّها تُستعملُ في مقامِ الجزمِ بوقوع الشرط، فتفيدُ أنَّ المشركينَ جازمونَ بكونهم سيموتون، ويصبرون تراباً؛ لأنَّ إنكارهم كانَ للبعثِ والنُّشورِ، لا للموتِ؛ إذ كانوا يقولون: إِنَّ الدَّهْرَ يَهْلِكُهُمْ.

المشركون لا
ينكرون الموت

دلالة صيغة الماضي:

جاء بصيغة الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿أَعِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا﴾؛ لأنَّ (إذا) تُستعملُ في مقامِ الجزمِ بوقوع الشرط، فيناسبها إيرادُ صيغةِ الماضي الدَّالةِ على الوقوعِ نظراً إلى اللَّفْظِ، وإنَّ كانَ المعنى على الاستقبال، والمشركون هنا قاطعون بموتهم وصيرورتهم تراباً. وإنَّ كانتَ (إذا) ظرفاً غيرَ مُتضمِّنٍ لمعنى الشرط، فالتعبيرُ بالماضي للدَّلالةِ على أنَّ حصولَ الموتِ والبلَى أمرٌ مقطوعٌ به لما تقدَّم.

الموت حقيقة لا
شك فيها

بلاغة عطفِ ﴿وَكُنَّا﴾:

في عطفِ قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا﴾ على قوله: ﴿مِنَّا﴾ تنصيصٌ على ما هو موجبٌ عندهم لشدة الإنكار، وهو التَّلاشي

التَّلاشي القوي
سبب إنكار
المشركين للبعث

(1) أبو السَّعود، إرشاد العقل السليم: 186 / 7، والخفاجي، عناية القاضى: 264 / 7.

(2) السَّمين الحلبي، الدَّر للصون: 298 / 9.

القويُّ بكونهم ترابًا وعظامًا، كأنَّهم جعلوا كلَّ واحدٍ مِنَ الموتِ والكونِ ترابًا وعظامًا، جعلوه مانعًا مِنَ البعثِ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ التُّرَابِ عَلَى الْعِظَامِ:

التُّرَابُ أْبْعَدُ
عَنِ الْحَيَاةِ مِنَ
الْعِظَامِ

قَدَّمَ التُّرَابُ عَلَى الْعِظَامِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾؛ لِأَنَّهُ أَدْلُ عَلَى مُرَادِهِمْ؛ لِأَنَّهُ أْبْعَدُ عَنِ الْحَيَاةِ⁽²⁾، أَوْ لِأَنَّهُ مَنقَلَبٌ مِنَ الْأَجْزَاءِ الْبَادِيَةِ⁽³⁾، أَوْ لِأَنَّ كَوْنَهُمْ تَرَابًا مَعْلُومٌ بِطَرِيقِ الْعَقْلِ، وَكَوْنَهُمْ عِظَامًا مُشَاهَدٌ مَعْلُومٌ بِطَرِيقِ الْحِسِّ؛ فَكَانَ الثَّانِي أَشَدَّ وَقَعًا فِي الْاِسْتِبْعَادِ عِنْدَ الْعَامَّةِ، فَلِذَلِكَ أَخَّرَ⁽⁴⁾.

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ التُّرَابِ وَالْعِظَامِ:

حَقَارَةُ شَأْنِ
التُّرَابِ وَالْعِظَامِ

تَنْكِيرُ ﴿تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ لِلتَّحْقِيرِ، أَي: تَرَابًا وَعِظَامًا حَقِيرَي الشَّأْنِ، لَا يُبَالَى بِهِمَا، وَذَلِكَ لِیْلَاثُ مَقَامِ اسْتِبْعَادِ الْبَعْثِ وَإِنْكَارِهِ.

نُكْتَةُ تَكْرِيرِ الْاِسْتِفْهَامِ:

شِدَّةُ شَكِيمَةِ
الْمَشْرِكِينَ فِي
إِنْكَارِ الْبَعْثِ

تَكْرِيرُ الْاِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِ - وَهَمُ الْجُمْهُورُ - زِيَادَةً فِي الْإِنْكَارِ، وَتَأْكِيدٌ لَهُ⁽⁵⁾، وَمِبَالَغَةٌ فِيهِ، وَإِشْعَارٌ بِأَنَّ الْبَعْثَ مُسْتَكْرَرٌّ فِي نَفْسِهِ؛ لِإِعَادَةِ هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ مَعَهُ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ - وَهِيَ حَالَةُ مَوْتِهِمْ وَصِيورَتِهِمْ تَرَابًا وَعِظَامًا - أَشَدُّ اسْتِنْكَارًا⁽⁶⁾.

نُكْتَةُ تَتَابُعِ الْمُؤَكَّدَاتِ:

نَفُوسُ الْمَشْرِكِينَ
تَأْبَى الْاِعْتِرَافَ
بِالْبَعْثِ

أَكَّدَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بِ (إِنَّ)، وَاسْمِيَّةِ الْجُمْلَةِ، وَاللَّامِ، وَإِعَادَةِ آدَاءِ الْإِنْكَارِ - وَهِيَ الْهَمْزَةُ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِهَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 204 / 16، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 107 / 18.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 204 / 16، واطفيش، تفسير اطفيش: 418 / 8.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 186 / 7.

(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 237 / 16.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 204 / 16.

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 7 / 5، والخفاجي، غناية القاضي: 264 / 7.

في الموضعين - تقوية للإنكار، وتأييداً له، وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة، لأنَّ المراد إنكار التأكيد كما قد يُتوهم من ظاهر الكلام⁽¹⁾، وفي تكثير المؤكِّدات إشارة إلى أنَّ نفوس المشركين تقذف البعث عنها، وتأبى أن يكون مُعتقداً لها، ولذلك حُشدت لها هذه المؤكِّدات.

نكتة العدول عن الفعلية إلى الاسمية:

أصل قوله تعالى: ﴿أَعْدَا مِثْنَا وَكُنَّا ثَرْبًا وَعَظْمًا أَعْنًا لَمَبْعُوثُونَ﴾: أنبِئْتُ إِذَا مِثْنَا! فبدلوا الفعلية بالاسمية، وقدموا الطرف، وكرروا الهمزة: مبالغة في الإنكار، لتكرير حرف الإنكار وتصديره والاسمية، وإشعاراً بأنَّ البعث مُستكَّر في نفسه، وهو في هذه الحالة أشدُّ استنكاراً⁽²⁾.

الاسمية أنسب
بزيادة الإنكار

توجيه القراءات وبلاغتها:

قرأ أبو جعفر وابن عامر وقالون والأصبهاني: ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا﴾ بإسكان الواو، وقرأ الباقيون: ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا﴾ بفتحها⁽³⁾. أمَّا القراءة الأولى: فهي على أنَّ ﴿أَوْ﴾ حرف العطف المفيد للتَّرديد والتقسيم⁽⁴⁾، أي: أُنْبِئْتُ وَاحِدٌ مِثْنَا⁽⁵⁾ وَوَجْهَ الْعُطْفِ بـ ﴿أَوْ﴾ هُوَ جَعْلُهُمُ الْآبَاءَ الْأَوَّلِينَ قِسْمًا آخَرَ، فَكَانَ عَطْفُهُ ارْتِقَاءً فِي إِظْهَارِ اسْتِحَالَةِ بَعثِ هَذَا الْقِسْمِ⁽⁶⁾. وأمَّا القراءة الثانية: فهي على أنَّ الواو وأو العطف، والهمزة همزة استفهام، فهما حرفان، وقُدِّمَتِ همزة الاستفهام على حرف العطف جرياً على الاستعمال الكثير⁽⁷⁾، و(أَبَاؤُنَا) معطوف على محل (إِنَّ) واسمها، أو على الضمير المستتر في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾،

ترقي المشركين
في استبعاد
البعث

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 186، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 236.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 7، والخفاجي، غناية القاضي: 7/ 264.

(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 357.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 7.

(5) السفي، مدارك التنزيل: 3/ 119.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 98.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 98.

والمعنى: أَيْبَعْتُ أَيضًا أَبَاؤُنَا؟ وتكرير الاستفهام الإنكاري لزيادة الاستبعاد⁽¹⁾. فجملت القراءتان لمشركي مكة بين الإنكار والسخرية من الأقدار.

نُكْتَةُ ذِكْرِ الْآبَاءِ:

بَعَثَ الْآبَاءِ أَوَّلِ
بِالاستبعادِ عندَ
المشركينَ

ذَكَرَ الْآبَاءَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾؛ لَأَنَّهُمْ فِي زَعَمِ الْمُشْرِكِينَ قَدْ طَالَتْ عَصُورُ فَنَائِهِمْ، فَتَكُونُ إِعَادَةُ حَيَاتِهِمْ أَوْغَلَ فِي الْإِسْتِحَالَةِ⁽²⁾، وَالْمُشْرِكُونَ بِذَلِكَ يَتَرَفَّقُونَ دَرَجَةً فِي الْإِنْكَارِ وَالْإِسْتِبْعَادِ.

غَرَضُ الْإِضَافَةِ فِي ﴿أَوْءَابَاؤُنَا﴾:

الْمُشْرِكُونَ
يَسْتَبْعِدُونَ بَعَثَ
أَبَائِهِمْ بِأَحْوَالِهِمْ
وَشُؤْنِهِمْ وَبِمُدَّةِ مَوْتِهِمْ.

الْإِضَافَةُ فِي ﴿أَوْءَابَاؤُنَا﴾ لِلَاخْتِصَاصِ، فَتَفِيدُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَسْتَبْعِدُونَ بَعَثَ آبَائِهِمُ الْمُخْتَصِّينَ بِهِمْ؛ لَأَنَّهُمْ أَدْرَى بِأَحْوَالِهِمْ وَشُؤْنِهِمْ وَبِمُدَّةِ مَوْتِهِمْ.

نُكْتَةُ الْوَصْفِ بِـ ﴿الْأَوَّلُونَ﴾:

غُلُوُّ الْمُشْرِكِينَ فِي
إِنْكَارِ الْبَعْثِ

وَصَفَّ الْمُشْرِكُونَ آبَاءَهُمْ بِالْأَوَّلِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾؛ لَزِيَادَةِ الْإِسْتِبْعَادِ، أَيِ: أَيْبَعْتُ أَبَاؤُنَا الْأَقْدَمُونَ الَّذِينَ طَالَ مُكُتُّهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَانْمَحَقَتْ أَجْزَاؤُهُمْ، بَحِيثٌ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ أَثَرٌ مَا، وَمَرَّتِ الدُّهُورُ وَلَمْ يُبْعَثْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الْيَوْمِ⁽³⁾.

نُكْتَةُ فَصْلِ ﴿قُلْ﴾:

مَقَامُ الْمُحَاوَرَاتِ
مَقَامُ فَصْلِ

فُصِّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ، وَلَمْ يُعْطَفْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ جَارٍ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِسْتِعْمَالِ فِي حِكَايَةِ الْمُحَاوَرَاتِ⁽⁴⁾؛ إِذْ يُفْصَلُ قَوْلُ كُلِّ مُحَاوِرٍ عَنْ قَوْلِ مُحَاوِرِهِ.

دَلَالَةُ فِعْلِ الْأَمْرِ:

تَبْكِيتُ الْمُشْرِكِينَ
بِوُقُوعِ الْخَشَرِ

الْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ لِلْوُجُوبِ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ،

(1) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 38/4، وَالبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 204/16.

(2) أَطْفِيشٌ، تَفْسِيرُ أَطْفِيشٍ: 418/8، وَابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 98/23.

(3) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 205/16.

(4) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 99/23.

ولا صارف عنه، بل مقامُ تبكيتِ المُكذِّبينَ يستدعي الإجابة بهذا الجواب⁽¹⁾، وفي ذِكْرِ الأمرِ أيضًا تَشْرِيفٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ بالتَّبْلِيغِ، وليواجههم بما يُبَكِّتُهُمْ؛ ليكونَ ذلكَ في مقابلةِ تكذيبهم له.

بلادةُ الاقتصارِ على ﴿نَعَمْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ لطافةٌ لا تخفى؛ وذلكَ بالاقْتِصَارِ على ﴿نَعَمْ﴾ في الجوابِ، مِنْ غيرِ إقامةِ دليلٍ لِلْمُنْكَرِينَ؛ لأنَّهُ قد تقدَّمَ البرهانُ عليه في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ﴾ الآية، ولأنَّ الْمُخْبِرَ عَلِمَ صدقَهُ بمعجزاته الواقعة في الخارجِ، الَّتِي دَلَّ عليها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾، واستهزأوهم بها وتسميتهم لها سِحْرًا لا يضرُّ طالبَ الحقِّ، ولذا أمره سبحانه بقوله: ﴿نَعَمْ﴾ دونَ زيادةٍ، والألَمَ يَكُنْ جوابًا شافيًا⁽²⁾.

بلادةُ الأسلوبِ الحكيمِ:

الاستفهامُ في قوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أَدَا مِثْنًا﴾ إنكارِيٌّ كما سبقَ، ولذلكَ كانَ قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ جوابًا لَهُ على طريقةِ الأسلوبِ الحكيمِ، بصرفِ قَصْدِهِمْ مِنَ الاستفهامِ الإنكارِيِّ إلى الاستفهامِ الحقيقيِّ، فجعلوا كَالسَّائِلِينَ حقيقةً: أَيُعْتَوْنَ؟ فقلْ لَهُمْ: نعم؛ تقريرًا للبعثِ المُستفهمِ عنه، أي: نَعَمْ تُبْعَثُونَ⁽³⁾، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أَنَّ هذا السُّؤَالَ غايتهُ أَنْ يَكُونَ سؤَالَ جاهلٍ طالبٍ لِلْعِلْمِ، لا سؤالَ مكابرٍ معاندٍ.

بلادةُ الجملةِ الحالِيةِ:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ جملةٌ حالِيةٌ، والعاملُ فيها محذوفٌ، والتقديرُ: نعم تُبْعَثُونَ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ⁽⁴⁾، ونُكْتَةُ الحالِ بيانُ

البعثُ لا يحتاجُ
إلى إقامةِ دليلٍ
عليه

غايةُ السُّؤَالَ عن
البعثِ أَنْ يَكُونَ
مِنْ جاهلٍ لا مِنْ
معاندٍ

بعثُ المشركينَ
مُتَلَبِّسٌ بِالذَّلِّ
وَالصَّغَارِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 187 / 7.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 7 / 5، والخفاجي، غناية القاضي: 264 / 7.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 99 / 23.

(4) أبو حيان، البحر المحیط: 96 / 9.

تلبس بعثهم بذلهم وصغارهم، فلا يكتفى بوقوع ما ينكرون، بل يصحبه ما فيه خزيهم وبهتتهم.

بلاغة الإطناب:

تهديد المنكرين
للبعث بسوء
العاقبة

قوله جل من قائل: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ زيادة على الجواب؛ إذ الظاهر أن يكتفى بـ ﴿نَعَمْ﴾، وإنما زيد على الجواب؛ لأنَّ المقام مقام إطناب؛ للتشديد في الوعيد، والمبالغة في التهديد للمخاطبين⁽¹⁾. ومن عجب بلاغة هذه الآية أنه لم يذكر فيها دليل للمُنكرين كما تقدّم، واقتصر على ﴿نَعَمْ﴾، وزيد فيها تهديدهم بالذل والصغار، كأنه قيل: لا تطلبوا دليلاً على البعث؛ فالأدلة كثيرة، واحذروا ما ينتظرُكم عند وقوعه.

بلاغة التغليب:

الخطاب
للمُنكرين
وآبائهم

الخطاب في قوله تعالى شأنه: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ لهم وآبائهم بطريق التغليب⁽²⁾، أو الخطاب لمن علم الله تعالى أنهم يموتون على الكفر، أو هو مُقَيَّد، أي: وأنتم داخرون إن بقيتم على هذه الحالة⁽³⁾.

نكتة التعبير بالاسمية:

قزع العصا
للمُنكرين

جاء بالجملة الاسمية في قوله جل ذكره: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾، ولم يقل مثلاً: (داخرين)؛ لما تدل عليه الاسمية من أن كونهم داخرين أمر ثابت متيقن، لا شك فيه، إن بقوا على ما هم عليه من التكذيب، وفي ذلك تهويل للخطب، وتفضيع له، عسى أن يرددوا عما هم عليه من التكذيب والعناد.

نكتة التعبير بالدخور:

الكرامة يوم
القيامة
لأهل الإيمان
والتصديق

عبر بالدخور في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾؛ للدلالة على ما

(1) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 238 / 16.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 187 / 7، والالوسي، روح المعاني: 77 / 12.

(3) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 238 / 16.

يَصِيبُ الْمُخَاطَبِينَ عِنْدَ الْبَعْثِ مِنَ الصَّغَارِ وَالذَّلَّةِ وَالْاِسْتِكَانَةِ⁽¹⁾؛
لأنَّهم يرونَ ما أنكروهُ واقِعًا⁽²⁾، أي: تُبْعَثُونَ بَعَثَ إِهَانَةٍ مُؤَذِّنَةٍ بِتَرْقُبِ
العقابِ، لا بَعَثَ كَرَامَةٍ⁽³⁾؛ لأنَّ الكرامةَ حِينَئِذٍ خَاصَّةٌ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ
والتَّصَدِيقِ، الَّذِينَ عَمَرَ قُلُوبَهُمُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

دلالة استعمال اسم الفاعل «دَاخِرُونَ»:

جاء بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: «دَاخِرُونَ»؛ لما تدلُّ
عليه هذه الصيغة من رُسُوخِ الْمُخَاطَبِينَ فِي الذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ، حَتَّى
صَارَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِمُ الْجَبِلِيَّةِ الَّتِي لَا تَنفَكُ عَنْهُمْ،
وَلَا غَرَوُ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ يَسْتَقْبِلُونَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُنْكِرُونَهُ، وَهُمْ عَلَى
هَذَا الْحَالِ الْفُضِيلِ، الْمُؤَذَّنِ بِطُولِ الْوَيْلِ وَالثُّبُورِ.

❖ الفروق المَجْمَعِيَّةُ:

الاستفتاء والسؤال:

الاستفتاء: طَلَبُ جَوَابٍ عَمَّا يُشْكِلُ عَلَى الْمُسْتَفْتَى⁽⁴⁾. وَالسُّؤَالُ:
استدعاء معرفة، أو ما يُؤَدِّي إِلَيْهَا. وَقَدْ عُمِّرَ بِالْاِسْتِفْتَاءِ هُنَا؛ لِأَنَّ
المرادَ بِهِ الْاِسْتِخْبَارُ عَنْ أَمْرٍ حَدَثَ⁽⁵⁾، وَطَلَبُ الْإِجَابَةِ عَنِ الْمَسْئُولِ
عَنْهُ، وَهُوَ تَعْيِينُ الْأَشَدِّ خَلْقًا، وَفِي التَّعْبِيرِ بِهِ أَيْضًا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ
قَضِيَّةَ الْبَعْثِ لِكَثْرَةِ الْكَلَامِ فِيهَا قَدْ صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الْمُسْكِلِ،
الَّذِي يُطَلَّبُ بَيَانُ إِزَالَةِ الْإِشْكَالِ الْمُتَعَلِّقِ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْبَعْثُ مُشْكِلاً
فِي نَفْسِهِ لظُهُورِ أدلَّتِهِ.

السُّخْرِيَّةُ وَالْاِسْتِهْزَاءُ:

الاستهزاء والسُّخْرِيَّةُ كُلُّ مِنْهُمَا فِيهِ اسْتِخْفَافٌ وَهَمْزٌ، وَالْفَرْقُ

رُسُوخُ الْعَانِدِينَ
فِي الذَّلَّةِ
وَالصَّغَارِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ

الْبَعْثُ قَضِيَّةٌ
مُشْكِلةٌ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 468.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 72.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 99.

(4) الرَّاغِب، المفردات، والسَّامِينِ الْحَلَبِيِّ، عمدة الحفاظ: (فتي).

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 6، والخفاجي، عناية القاصي: 7/ 262.

المشركون
يطلبون قَهْرَ أَهْلِ
الْحَقِّ

بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ يُسْتَهْزَأُ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ مِنْهُ فَعْلٌ يُسْتَهْزَأُ بِهِ مِنْ أَجْلِهِ، وَأَمَّا السُّخْرِيَّةُ فَتَدُلُّ عَلَى فَعْلٍ يَسْبِقُ مِنَ الْمَسْخُورِ مِنْهُ⁽¹⁾. وَقَدْ عُبِّرَ بِالسُّخْرِيَّةِ هُنَا؛ لِأَنَّهَا وَقَعَتْ فِي مَقَابِلَةِ الْإِخْبَارِ بِالْحَقِّ، وَلِدَلَالَتِهَا بِحَسَبِ أَصْلِ مَعْنَاهَا عَلَى الذُّلِّ وَالْقَهْرِ، وَكَأَنَّ السَّاحَرَ يَبْغِي قَهْرَ الْمَسْخُورِ مِنْهُ وَإِذْلَالَهُ.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 254.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الضافات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الضافات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48، 810 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الضافات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-641-07-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»